



حفظ الأمن في المغرب من منظور شرعي:

"وسائله وركائزه"

محمد الغزواني

طالب في سلك الدكتوراه

المغرب

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد؛ فإن الأمن مقصد من مقاصد الشريعة، وضرورة من ضروريات الحياة، فلا أمن للبشرية ولا أمان إلا بتحقيقه، فهو من منظور إسلامي نعمة عظمى، ومطلب جميع الأمم، ومقصد جميع الشرائع، وملاذ كل خائف.

وإن الشريعة الإسلامية الغراء مليئة بالنصوص التي تبرز سمو الأمن وقيمتها، فهو أسمى ما يملك الإنسان لتحقيق أهدافه وغاياته، ولا يمكن الاستقرار في هذه الحياة ولا القيام بالمصالح الدينية والدينية إلا تحت ظله وغطائه.

والحديث عن الأمن هو حديث عن تلك الكليات الخمس التي جاءت الشريعة لحفظها من جانب الوجود ولعدم، وهي الدين والنفس والعقل والعرض والمال، فإن حفظت هذه الكليات حفظ المجتمع، وإن أُنزلت بأي وجه من وجوه العدوان ففقد المجتمع أمنه واستقراره، فحفظها هو الأساس للوجود الإنساني في هذه الحياة، وفقدانها فقدان وجوده.

وإن المتبع للقرآن الكريم والسنة النبوية سيدرك جليا أهمية الأمن وضرورته المجتمعية، مما يستدعي تحقيق وسائل حمايته وحفظه، والبحث عن ركائزه ومقوماته.

هذا ويعد المغرب من الرائدة قديما وحديثا في اعتماده وسائل وركائز أثبتت فعاليتها عبر العصور، وفيما يلي بيان للأمن وأهميته ووسائل وركائز حفظه.

وقد اشتمل البحث على مقدم ومبحثين وخاتمة: أما المبحث الأول فقد بينت فيه معنى الأمن لغة واصلاحا وبيان أهميته، وأما المبحث الثاني فاشتمل على الوسائل والركائز المعززة للأمن المجتمعي.

والله أسأل التوفيق والسداد في القول والعمل، والحفظ والرعاية في الحال والمآل، والحمد لله رب العالمين الكبير المتعال.



المبحث الأول: التعريف بالأمن وبيان أهميته

المطلب الأول: تعريف الأمن لغة واصطلاحاً:

أولاً الأمن لغة: من باب أمن يأمن أمناً وأماناً، و"الأمان والأمانة بمعنى، وقد أمنت فأنا آمن، وأمنت غيري من الأمان والأمان، والايمن: التصديق، والله تعالى المؤمن، لأنه آمن عباده من أن يظلمهم. وأصل أمن آمن بضمزتين، لينت الثانية... والأمن: ضد الخوف، والأمنة بالتحريك: الأمن"¹، و"أمن زيد الأسد أمناً، وأمن منه مثل سلم منه وزناً ومعنى، والأصل أن يستعمل في سكون القلب، يتعدى بنفسه وبالخرف، ويعدى إلى ثان بالهمزة، فيقال أمنتته منه، وأمنتته عليه بالكسر واثمنتته عليه فهو أمين، وأمن البلد أطمأن به أهله، فهو آمن وأمين"².

يظهر من خلال المعاجم اللغوية أن الأمن ضد الخوف، وهو الاطمئنان والسلامة من المكاره في الحال والمآل، ثم إن الناظر في هذه المعاجم يجد تنوع معاني الأمن تنوعاً كبيراً، فهو ثري في معانيه وتعددتها، تمثل في الطمأنينة وعدم الخوف³، وعدم الخيانة⁴، والسيئلم⁵، والإجارة⁶، وغير ذلك.

هذه بعض المعاني للأمن التي يبيتها بعض معاجم اللغة، والتي تبرهن على ثراء هذا اللفظ وقيمتها، وإن المتأمل فيها يجدها تصب في نفس معنى الأمن، الذي هو زوال الخوف. ويؤكد هذا الدكتور مصطفى محمود عند حديثه عن معانيه فيقول: "يمكن رد المعاني لمفهوم الأمن جميعها إلى أصل واحد، أو إلى معنى أصيل تستبطنه هذه المعاني، بحيث يشكل الرابط بينهم، ولا عجب في ذلك ما دامت المعاني مستقاة من جذر لغوي واحد، مادته الألف والميم والنون، والذي عليه أهل اللغة أن جماع معاني الأمن هو عدم الخوف"⁷.

ثانياً: الأمن اصطلاحاً: لا يخرج الأمن اصطلاحاً عن معنى من المعاني اللغوية، فهو: "عدم توقع مكروه في الزمان الآتي"⁸، "وأصله طمأنينة النفس وزوال الخوف"⁹، فالأمن من خلال هذا التعريف يستدعي السكينة والطمأنينة وعدم الخوف والفرع في جميع مناحي الحياة داخل المجتمع.

يقول الدكتور محمد عمارة في تعريفه للأمن هو: "الطمأنينة المقابلة للخوف والفرع والروع في عالم الفرد والجماعة، وفي الحواضر ومواطن العمران، وفي السبل والطرق وفي العلاقات والمعاملات، وفي الدنيا والآخرة جميعاً"¹⁰، وهو مفهوم اعتمد فيه على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ومعاجم اللغة العربية، ليخرج بهذا التعريف الشامل للأمن.

ومن كل ما سبق حول هذا اللفظ، يمكن القول، إن الأمن هو الطمأنينة والسكينة التي يكون عليها الإنسان والمجتمع ككل، وانتفاء الخوف من الأخطار التي قد تلاحقه في دينه ونفسه وعقله وعرضه وماله، إذ تعد هذه الكليات من الضروريات التي جاءت الشريعة لحفظها ورعايتها، بحيث إذا فقدت لم تخر مصالح الدنيا على استقامة، بل على فساد وتهاجر وفوت حياة، وفي الأخرى فوت النجاة والنعيم، والرجوع بالخسران المبين، والحفظ لها يكون بأمرين: أحدهما ما يقيم أركانها ويثبت قواعدها، وذلك عبارة عن مراعاتها من جانب الوجود، والثاني: ما يدرك عنها الاختلال الواقع أو المتوقع فيها، وذلك عبارة عن مراعاتها من جانب عدم¹¹، وبحفظ هذا كله يحصل الأمن داخل المجتمع في الحال والمآل.

المطلب الثاني: أهمية الأمن في المجتمع وضرورته: لقد اهتمت الشريعة الإسلامية اهتماماً كبيراً بكل ما يحفظ الأمن ويوطده في المجتمع، وإن الحديث عنه في كثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية لإشارة قوية لأهميته، والمتأمل في القرآن الكريم والسنة النبوية يجد ذلك بينا جلياً.



أولاً: أهمية الأمن في القرآن والسنة: من الأمور المسلمة لدى المسلمين، أن الإنسان مستخلف في هذه الأرض لتوحيد الله وعبادته، مما يستدعي أمن المكان المستخلف فيه حتى تتم الخلافة على وجه يرتضيه الله عز وجل. فالأمن حاجة ملحة، ومطلب جميع المخلوقات، فلا يمكن استخلاف بدون أمن، وبعض هذا سؤال الملائكة بهم عز وجل بعد إخبارهم أنه جاعل في الأرض خليفة، أتجعل فيها من يفسد فيها؟ حيث يقول تعالى: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ} ¹²

ويضاف إلى ذلك امتنان الله تعالى على البلد الحرام بالأمن وجعله من النعم العظمى التي امتن بها على أهله، يقول عز وجل: {وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَاً وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى} ¹³، جاء الأمن في هذه الآية عاماً شاملاً لكل من دخل مكة، فكل من دخلها آمن على دينه ونفسه وعرضه، يقول ابن عطية رحمه الله: "معناه أن الناس يغيرون ويقتتلون حول مكة وهي آمنة من ذلك، يلقي الرجل بما قاتل أبيه فلا يهبجه، لأن الله تعالى جعل في النفوس حرمة وجعلها أمناً للناس والطير والوحوش" ¹⁴، ويؤكد ما ذهب إليه ابن عطية قول الله عز وجل: {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُنَظِّفُ النَّاسُ مِن حَوْلِهِمْ ۖ أَفَبَالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ} ¹⁵. ومن هذا القبيل قوله عز شأنه: {مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا} ¹⁶.

هذه بعض الآيات التي جاءت صريحة في بيان أهمية الأمن، أما التي جاءت متضمنة له فكثيرة جداً، وأعظمها وأوجزها قول الله عز وجل: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِنْتِمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} ¹⁷، حيث دعت هذه الآية إلى كل بر يحصل به الأمن، ونجت عن كل ما يسبب فقدانه، "والأمر بالتعاون على البر والتقوى من أركان الهداية الاجتماعية في القرآن، إذ يوجب على الناس أن يعين بعضهم بعضاً على كل ما ينفع الناس أفراداً وجماعات في دينهم ودنياهم، وعلى كل عمل من أعمال التقوى التي يدفعون بها المفاسد والمضار عن أنفسهم" ¹⁸.

أما السنة النبوية فإن الناظر في أحاديث رسول الله ﷺ يدرك قيمة الأمن وأهميته، من ذلك قول رسول ﷺ: «وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ، قِيلَ: وَمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقِهِ» ¹⁹ وقوله ﷺ: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ مُعَايًى فِي جَسَدِهِ عِنْدَهُ فُوتٌ يَوْمِهِ فَكَأَمَّا حِيْرَتْ لَه الدُّنْيَا» ²⁰، وكان من وصاياهم ﷺ الأخيرة في حجة الوداع حفظ الأمن العام في المجتمع، وتحريم كل ما يمكنه تفويته، فعن أبي بكر رضي الله عنه قال: خطبنا النبي ﷺ يوم النحر، قال: «أتدرون أي يوم هذا» قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: «أليس يوم النحر» قلنا: بلى، قال: «أي شهر هذا» قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، فقال: «أليس ذو الحجة» قلنا: بلى، قال: «أي بلد هذا» قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: «أليست بالبلدة الحرام» قلنا: بلى، قال: «فإن دماءكم وأموالكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، إلى يوم تلقون ربكم، ألا هل بلغت» قالوا: نعم، قال: «اللهم اشهد، فليبلغ الشاهد الغائب، فرب مبلغ أوعى من سامع، فلا ترجعوا بعدي كفاراً، يضرب بعضكم رقاب بعض» ²¹.

هذا الحديث يمكن عدده دستورا للبشرية في تعزيز الأمن، فقد نبه إلى أهم الأسباب التي يمكن الاعتماد عليها في دفع المفاسد والأخطار عن المجتمع ككل، وذلك بحقن الدماء وحفظ الأموال داخل المجتمعات، بل إن كل هذه الأحاديث وغيرها تقدم لنا التأصيل الشرعي للأمن في حياة الإنسان وتبرز أهميته، فقد صرحت بالركائز الكبرى التي يبنى عليها الأمن.

ثانياً: ضرورة الأمن في المجتمع: اتفق علماء المسلمين على أن مصالح العباد من حيث الأهمية تنقسم إلى ثلاثة أقسام: ضرورية، وحاجية، وتحسينية، وإن تحقيق الأمن في المجتمع يدخل ضمن القسم الأول لحاجة الناس إليه أكثر من غيره، فالأمن بهذا المعنى متصل بالكليات الخمس اتصالاً ضرورياً، فلا حفظ للدين ولا للنفس ولا للعقل ولا للعرض ولا للمال إلا به، والعلم بحفظ هذه الضروريات



علم ضروري، يقول الإمام الشاطبي رحمه الله: "اتفقت الأمة بل سائر الملل على أن الشريعة وضعت للمحافظة على الضروريات الخمس وهي: الدين والنفس والنسل والمال والعقل، وعلمها عند الأمة كالضروري"²².

وبناء عليه، فالأمن مطلب شرعي، ومقصد من مقاصد الشريعة، بل "إن المقصد العام من التشريع فيها هو حفظ نظام الأمة"²³، وما من مجتمع إلا ويبحث عن الأمن وأسباب تحقيقه، ولا يضر الإنسان ما فاته من الدنيا مادام قد حصل على الأمن، إذ هو الحياة الطيبة التي وعد الله بها عباده المؤمنين الصالحين {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً ۗ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} ²⁴. ولا تحصل الحياة الطيبة إلا بوجود الأمن، فإن فقدت، فهو بذلك ركن من أركان قيام المجتمع، وقاعدة كبرى من القواعد التي تقوم عليها مصالح الدنيا، يقول الماوردي رحمه الله: "وأما القاعدة الرابعة فهي أمن عام تطمئن إليه النفوس، وتنتشر فيه الهمم، ويسكن إليه البريء، ويأنس به الضعيف، فليس لخائف راحة، ولا لحاذر طمأنينة، وقد قال بعض الحكماء، الأمن أهنأ عيش، والعدل أقوى جيش، لأن الخوف يقبض الناس عن مصالحهم، ويحجزهم عن تصرفهم، ويكفهم عن أسباب المواد التي بها قوام أودهم وانتظام جملتهم، لأن الأمن من نتائج العدل، والجور من نتائج ما ليس بعدل"²⁵.

المبحث الثاني: الوسائل والركائز المعززة للأمن في المجتمع

لما كان حفظ الأمن مقصدا من مقاصد الشريعة، ورعايته هدفا من أهدافها، عمل المغرب قديما وحديثا على توطيد كل وسيلة أو ركيزة شرعية لحفظه وتعزيزه، وفي هذا المبحث بحول الله بيان لبعض تلك الوسائل والركائز المعززة للأمن في المجتمع المغربي ستكون على الشكل التالي:

المطلب الأول: وسائل تعزيز الأمن في المجتمع: من أهم الوسائل المعززة للأمن داخل المجتمع المسلم ما يلي:

(1) التفقه في الدين: يعتبر التفقه في الدين من أهم الوسائل المعينة على تعزيز الأمن داخل المجتمع المغربي عبر العصور، لما له من دور كبير في تثقيف الشخصية المسلمة وربطها بخالفها معرفة ومحبة وخشية، ولما له من أثر بارز في معرفة أحكام الله عقيدة وعبادة ومعاملة.

والتفقه المقصود بهذا المعنى، أن يتعرف الإنسان في علاقاته الثلاث: بربه، وبنفسه، وبغيره، بمنهج سليم مجنب للانحراف والتطرف والغلو، وهو التعريف الذي ارتضاه العلماء الأولون للفقه، إذ هو معرفة النفس مالها وما عليها، ولا يقصد هاهنا التعمق في الفقه كتعمق الفقهاء، وإنما القدر الذي ينفع به الإنسان نفسه ومجتمعه، فإذا تحقق هذا التفقه، كان وسيلة لتحقيق الأمن في المجتمع.

فالقدر المطلوب من التفقه إذن، هو ما يرضي به الإنسان ربه، ويجنبه سخطه، وهو بهذا المعنى من أهم الوسائل التي يجب الاعتماد عليها لتعزيز الأمن، فلا يتصور في المتفقه في دينه أن يسعى للإفساد في الأرض بأي وجه، لأنه يعلم أن ذلك مخالفة شرعية لا تجوز، خاصة إذا كان المجتمع كله على هذه الصورة.

ولأهمية التفقه في الدين وضرورته في المجتمع حض الشرع عليه كثيرا، فقال تعالى: {فَلَوْلَا نَقَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ} ²⁶، فانطلاقا من الآية الكريمة، يمكن استخلاص جملة من ثمرات الفقه في الدين، من أهمها الفهم الصحيح عن الله تعالى، فلا يتأتى السير على الطريق المستقيم وصلاح المجتمع وإصلاحه إلا بالفهم الصحيح، فما ضل قوم إلا لعدم فهمهم الصحيح عن الله تعالى، فواجب أن تكون الانطلاقة منه والانتهاى إليه.



وقد أشارت السنة النبوية إلى هذا المعنى في حديث رسول الله ﷺ «من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين»²⁷، فهذا الحديث يشير إلى أن الخيرية كلها في التفقه في الدين، لما له من الآثار الإيجابية على واقع الناس دينا ودنيا، ولما له من أثر في توريث الخشية من الله تعالى، وكبح النفس عن الفساد والإفساد في الأرض.

وتجدر الإشارة هاهنا إلى ما وقع فيه كثير من شباب المسلمين اليوم، من التخبط والتشويش بسبب عدم التفقه في الدين وعدم الجلوس بين يدي العلماء والمتخصصين، فوقعوا في مستنقع الأخذ بظواهر النصوص دون تفقه أو دراسة، أو معرفة لدلالاتها وأوجه معانيها، حيث هذا الاتجاه إلى تفسير الآيات وشرح الأحاديث على الهوى، وإفتاء الناس في مهمات عظام، ومشكلات جسام، كان يتهيب منها الفقهاء النبهاء، مما كان سببا للحكم على الناس بالكفر والتضليل فضلوا وأضلوا، فتجد حديثا شرحة العلماء المتقدمون وأعطوه حقه من الشرح المطول، من استخراج الأحكام والفوائد والحكم، فيأتي من لا علم له ليحكم بظاهره فيضل ويضل، والمشكلة العظمى أن يظن أن شرحة هذا لم يُسبق له.

إن هذا الواقع المرير من تطاير الفتوى في الافاق والإفتاء بغير علم، سببه عدم الفهم عن الله تعالى والتفقه في دينه، ولا دفع لهذا الواقع إلا بالتفقه بمنهجية سليمة سديدة بين يدي العلماء والمتخصصين في المجال.

(2) تنصيب العلماء الربانيين للإفتاء: إن تنصيب العلماء الربانيين في منصب الإفتاء أو أي منصب ديني آخر له أثر بارز في المجتمع، فلا أثر ولا تأثير إلا إذا اتصف العالم بالخيرية والورع والدين، ولهذا جعل العلماء هذا الشرط لقبول الفتوى لا للاجتهد، فلا تقبل الفتوى من الفاسق لعدم الثقة به، ولكونه ليس ربانيا يبتغي بفتواه وجه الله تعالى.

وعليه، فإن صلاح العالم أمر مطلوب محتوم، لما له من أثر بالغ الأهمية في قبول أقواله، وفي المقابل، فإن انعدام المجتمع من العلماء الربانيين، هو فجوة لركوب المتعلمين والمتجربين على كرسي الإفتاء بغير حق، فيصير المجتمع غير آمن، والفتاوى متضاربة، والأفكار متناقضة، وتكثر البلبلة والتخبط بين أفراد المجتمع في شؤونهم فلا يدورون أين هو الحق ومع من؟

وإذا كان العلماء المتقدمون قد أفتوا بعدم التساهل في الفتوى في كثير من الأمور، فإن المتعلمين والمتجربين في كثير من البلدان الإسلامية اليوم قد تجاوزوا ذلك كله، وتصدروا الشاشات والفضائيات والوسائل الحديثة ليفتوا الناس في دينهم بدون مراعاة للواقع ولا للعرف أو العادات فضلوا وأضلوا، وتنتج عن ذلك غياب الوسطية والاعتدال، وانتشار الغلو والتنطع في الدين بشتى أشكاله وألوانه، فالواجب لحماية أمن المجتمع وتعزيزه تنصيب أهل العلم المتأهلين الربانيين المشهورين بالعدالة، ومنع كل متعلم متجرب لا يخشى ولا يخاف.

وفي هذا السياق يمكن القول، إن المغرب يعد من الرائدة في هذا المجال من خلال ضبطه لهذه المسألة، بإنشاء المجلس العلمي الأعلى الذي يبت في الفتاوى العامة المتطلب حلها من كبار علماء المغرب المشهود لهم بالعلم والصلاح، حيث يمنع منعا كليا الإفتاء في الأمور العامة للدولة إلا من قبل هؤلاء العلماء، مما كان لإنشاء هذا المجلس الأثر البارز في حفظ الأمن، ودفع ما من شأنه زرع الفتنة بين أفراد المجتمع.

وبناء على هذا الأثر الإيجابي الكبير لمؤسسة الفتوى في المغرب، يستوجب زيادة حرص كبير على تنصيب العلماء الربانيين الذين يخشون الله ويراقبونه في السر والعلانية، وهذا ما كان عليه علماء الغرب الإسلامي عبر العصور.

(3) ترسيخ الالتزام بالثوابت الدينية للدولة: لما كان التفقه في الدين وتنصيب العلماء الربانيين للإفتاء من الوسائل المهمة لتعزيز الأمن المجتمعي، فإن ترسيخ الثوابت الدينية للدولة، المتمثلة في العقيدة، والفقه، والتصوف السني، وإمارة المؤمنين، من أهم الوسائل



المعينة على تعزيز الأمن داخل المجتمع، فلا يمكن بحال من الأحوال تعزيره إلا بترسيخ هذه الثوابت والعمل على تبنيتها والتشبث بها، وهذا دور العلماء في الساحة، فلا بد من ترسيخ هذه الثوابت لدى أفراد المجتمع، وبيان دورها ومقاصدها، حتى يصير المجتمع متشبعا بها، عالما بمقاصد اعتمادها، آنذاك تصير هذه الثوابت حامية للأمن، دافعة للفتن، موحدة بين أفراد المجتمع وأفكاره.

فلا يخفى ما للثوابت الدينية من أهمية كبيرة في توحيد المجتمع وتسديد أفكاره، تنبه له المغاربة قديما "فكان منهج التكوين والتعليم والتدريس يستوعب هذه الدعائم، كان المتعلم يأخذ حظه من المادة العقيدية والفقهية والسلوكية التربوية جنبا إلى جنب في حلقات التكوين والتلقي، وتميزت مصنفات فقهاء المالكية باشتغالها على هذه الدعائم أيضا: حيث تتبدئ بمقدمة في الاعتقاد وأصول الدين، ثم يلي ذلك أحكام العبادات والمعاملات، ثم تختتم بالآداب والأخلاق"²⁸.

فهذا ابن رشد الجد رحمه الله²⁹ يعد من الفقهاء المجتهدين، سعى دائما لحفظ أمن مجتمعه من خلال الالتزام بهذه الثوابت، فيمنع الأفكار الدخيلة على مجتمعه، ويرد رذودا قاسية على المخالف في كثير من الأحوال، ولا أدل على ذلك من ردوده على المعتزلة في مجال العقيدة، وعلى المذهب الحنفي بالحجج القوية انتصارا للمذهب المالكي، قصد منع انتشارها في الأندلس والمغرب، كما كان رحمه الله ملتزما التزاما تاما بطاعة إمارة المسلمين المتمثلة في المرابطين،³⁰ وهذا إن دل فإنما يدل على الدور الكبير لهذه الثوابت داخل مجتمع الغرب الإسلامي.

من هنا يمكن القول، إن ترسيخ الالتزام بالثوابت الدينية أمر يحتاج للجهد والمجاهدة للتشبع بها بين أفراد المجتمع المسلم، ولا يتأتى هذا الأمر إلا من خلال التوجيه الرشيد للعلماء الريانيين والمتخصصين في التربية الإسلامية الناجعة شرحا ومدارسة، وبذلك يصبح المسلم مقتنعا معتزا بثوابته الدينية، معرضا عن يريده إفساده أو توجيهه توجيهها خاطئا في مجتمعه.

4) ترسيخ الانتماء الوطني لدى المواطن: إن التربية على الانتماء الوطني وحب الوطن من الوسائل المهمة المساعدة على تعزيز الأمن المجتمعي، فلا شك أن هذه الوسيلة لها دورها الفعال في حماية المجتمع وأمنه، إذ لا يمكن للمتشیع بحب وطنه المتعلق به، أن يسعى لزعزعة استقراره وزرع الخوف بين أفراد.

فالتربية على الانتماء الوطني من شأنه أن يدفع أفراد المجتمع للقيام بواجبهم الوطني وخدمته، ولا يتأتى هذا إلا ببناء الشخصية الواعية التي تطمح إلى التعايش والانسجام مع غيرها من أفراد المجتمع بجميع أطيافه وأنواعه، ولا تتم هذه التربية إلا بإصلاح المؤسسات التعليمية والعلمية في جميع المجالات، والتي لها دور كبير في التنشئة الاجتماعية، وغرس قيم المواطنة في نفوس الأجيال الصاعدة، والاحساس بحقوقهم وواجباتهم، وتعميق شعورهم بحب وطنهم والاعتزاز به واحترام قوانينه.

التربية على الانتماء وحب الوطن، أمر يحتاج إلى رجال متشبعين بحب وطنهم معتزين به، عازمين على تنميته، ومدافعين عن أمنه، إذ لا تتحقق هذه التنمية إلا بالصدق ورجال صادقين في خدمة وطنهم ووحدته ودفع الفتن المحدقة به، ويجب التنبيه هاهنا إلى أن التنشئة الاجتماعية المرجوة، يجب أن تكون صحيحة مبنية على الاعتدال والوسطية في كل شيء، فلا إفراط ولا تفريط، وهذا هو منهج ديننا الحنيف في التوجيه والإرشاد والتربية، {وكذلك جعلناكم أمة وسطا}³¹

وعليه، فترسيخ الانتماء الوطني وسيلة من أهم الوسائل لتحقيق الأمن في المجتمع المسلم، لما له من أثر بارز في تطبيق القوانين واحترامها، ولما له من توجيه للعقلية المسلمة في حفظ الأمن والدفاع عن الوطن، إذ تطبيق القانون داخل المجتمع لا يحتاج إلى السلطة والردع فقط، بل يحتاج مع ذلك كله التشبع بالانتماء إلى الوطن وحبه، حتى يتم التطبيق على أكمل وجه.



المطلب الثاني الركائز المعززة للأمن في المجتمع: لا يتحقق الأمن داخل المجتمع المسلم إلا ببنائه على ركائز تحفظه، وأركان توطئه، ومن أهم الركائز الدينية التي بنى عليها المغرب مجتمعه ووحدته عبر العصور المتعاقبة ما يلي:

أولا الثوابت الدينية للدولة: إن الحديث عن الثوابت الدينية لا يعني التفصيل في كل نقطة منها، بل سأقتصر على ما أنا بصده من بيان ضرورة هذه الثوابت، وقد سبقت الإشارة في المطلب السابق عن أهمية ترسيخ هذه الثوابت لدى الشباب المسلم والمجتمع بصفة عامة، والذي يبرز أهميتها وضرورتها لتعزيز الأمن داخل المجتمع، فلا أمن حقيقيا للمجتمع المسلم إلا بحفظها والاعتماد عليها، وقد تنبه المغاربة لهذا الأمر منذ دخول الإسلام، فسعوا إلى بناء مجتمعهم على ثوابت أربعة: العقيدة، والفقه، والتصوف السني، وإمارة المؤمنين، "فهذه الدعائم بنيت شخصية المغرب وصيغته ذاته، وتبلورت هويته، وتأسست حضارته وثقافته"³²، وأصبح فيما بعد مبنيا على العقيدة الأشعرية، والفقه المالكي، والتصوف السني، وإمارة المؤمنين. هذه الثوابت كانت الركيزة الأولى التي "شرب من معينها المغرب، وترى عليها هذه القرون كلها وتناقلها جيلا بعد جيل، وورثها الخلف عن السلف، حتى صارت جزءا لا يتجزأ من ذاته وحضارته وثقافته"³³.

1) الإمامة العظمى: (إمارة المؤمنين): الإمامة فضلها كبير، وشرفها عظيم، ومرتبها في الشرع عالية، فهي أعلى المراتب لمن يقوم بها ويحسنها، شرفت لكونها وظيفة رسول الله ﷺ، ووظيفة الخلفاء الراشدين الأبرار، القائم بها نائب عن رسول الله ﷺ بالدرجة الأولى، يقول القرافي رحمه الله: "اعلم أن رسول الله ﷺ هو الإمام الأعظم، والقاضي الأحكم، والمفتي الأعلم، فهو ﷺ إمام الأئمة، وقاضي القضاة، وعالم العلماء، فجميع المناصب الدينية فوضها الله تعالى إليه في رسالته، وهو أعظم من كل من تولى مناصبا منها في ذلك المنصب إلى يوم القيامة، فما من منصب ديني إلا وهو متصف به في أعلى رتبة"³⁴.

ولما كانت الإمامة بهذه الأهمية والفضل، كانت ضرورتها في كل مجتمع واضحة جلية، وهو السبب الذي جعل المغاربة يعتقدون بما اعتناء بالغا، ويولوها أولوية قصوى، فجعلوها من أهم ثوابت الأمة التي يرتكز عليها مجتمعهم، لما فيها من درء المفساد وجلب المصالح مالا يعد، يقول الماوردي رحمه الله فيما تصلح به الدنيا حتى تصير منتظمة: "وأما القاعدة الثانية فهي سلطان قاهر تتألف من رهبتة الأهواء المختلفة، وتجتمع لهيبته القلوب المتفرقة، وتكف بسطوته الأيدي المتغلبة، وتمتنع من خوفه النفوس العادية، لأن في طباع الناس من حب المغالبة على ما آثروه والقهر لمن عاندوه، ما لا ينكفون عنه إلا بمانع قوي، وراذع ملي"³⁵.

فالإمامة قد علم فضلها من الدين بالضرورة، فلا قيام لأمر الدين والدنيا إلا تحت ظلها ونظامها، فهي بذلك: "موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا، وعقدتها لمن يقوم بها في الأمة واجب بالإجماع"³⁶، فقد "أجمعت الأمة قاطبة إلا من لا يعتد بخلافه على وجوب نصب الإمام على الإطلاق وإن اختلفوا في أوصافه وشرائطه"³⁷.

إن هذا الإجماع من علماء الأمة ناشئ عن كثرة توارد النصوص الشرعية عن ضرورة الإمامة وأهميتها، فما وجبت إلا لدورها الكبير وأثرها في حفظ الأمن ودفع المضار عن المجتمع، و"الإمامة الكبرى، والخلافة، وإمارة المؤمنين، ألفاظ مترادفة على معنى واحد، رسمه العلماء بأنه رئاسة عامة في الدين والدنيا، قوامها النظر في المصالح وتدير شؤون الأمة وحراسة الدين وسياسة الدنيا"³⁸.

وفي هذا السياق تجدر الإشارة إلى أن تقديم هذا الثابت على غيره من الثوابت الأخرى كان مقصودا، ذلك أن إمارة المؤمنين هي الحافظة والراعية للثوابت الأخرى، وخير مثال على ذلك ما قامت به الدول المتعاقبة على المغرب والأندلس وإلى يومنا هذا، من رعاية هذه الثوابت والدفاع عنها بكل الوسائل، فكان أثرها ظاهرا على الفرد والمجتمع بكل أطيافه، ولا زال المغرب ينعم تحت ظلها، متمسكا بها، علما بفضائلها وقدرها وعظيم منافعتها دينا ودنيا، بل إنها تعد مبحثا من مباحث العقيدة لدى علماء الأشاعرة تجب فيه البيعة لأمير المؤمنين المعين.



(2) العقيدة الأشعرية: العقيدة الأشعرية نسبة إلى واضع علم العقائد بصفة رسمية، أبي الحسن الأشعري المتوفى سنة 324هـ، والذي كان له الفضل الكبير في الدفاع عن العقيدة الإسلامية ودرء الشبه عنها حتى عُرف بها واشتهر.

أبو الحسن الأشعري رحمه الله "قام بمجهود جبار للدفاع عن عقيدة السلف وتلخيصها ودفع شبه الفلاسفة عنها، وتفتيحها من جميع الشكوك والأوهام والأباطيل، مع تحريرها من تزيف خصومه ودعوايهم الباطلة. بنى الإمام الأشعري مذهبه على تخلص العقائد من جميع المذاهب الفلسفية اليونانية وغيرها، حيث حاربها بأدلة عقلية ونقلية، وأرسى منهجه على مقدمات عقلية ونصوص نقلية، من شأنها أن تؤدي إلى نتيجة قطعية لا جدال فيها، وهي العقيدة الإسلامية التي عليها أهل السنة والجماعة"³⁹.

هذه العقيدة وعبر العصور الإسلامية، كانت الرادع لكل فتان زائغ مجسم مبتدع، وبذلك أصبحت متمسكة بالوسطية والاعتدال أخذة بالنصوص معتمدة على العقل، كل حسب الاحتياج إليه في الدفاع ودحض الأباطيل، فلم تحمل الأدلة الشرعية ولا العقلية، بخلاف ما كان عليه بعض الفرق الإسلامية آنذاك من الأخذ بظواهر النصوص، مما أدى إلى التجسيم ووصف الله بما لا يليق به، أو ترك النصوص والاعتماد على العقل مما أدى إلى تعطيل كثير من الصفات.

وهكذا فإن العقيدة الأشعرية بضبط مسائلها⁴⁰، وتحرير مباحثها⁴¹ وإفرادها بالتدوين، أصبحت عقيدة أهل السنة والجماعة من العلماء الأكابر في المشرق والمغرب، وأصبح الغرب الإسلامي تدريجياً يتبناها، ويعتني بمسائلها ومباحثها، حتى صارت منهجا متبعا في الدفاع عن العقيدة الإسلامية، ولما ظهرت أهميتها وبرزت فوائدها أصبحت ثابتة من ثوابت الدولة في المغرب إلى يومنا هذا.

ولما كانت "معرفة العقائد الدينية والجزم بها من أكد الواجبات الشرعية"⁴²، اختار المغاربة منهج هذه العقيدة ومسائلها، لما لأمسوه فيها من حفظ جوهر العقيدة الإسلامية، ودرء مفسد التشبيه والتعطيل عنها، ثم إن تبنى العقيدة الشرعية في المغرب والأندلس كان مبنيا على ما ظهر في منهجها من أدلة دامغة، ومنهجية مؤثرة، ووسطية معتدلة، لا هي آخذة بظواهر النصوص المحض، ولا هي معتمدة على العقل المنفرد، لما في الاعتماد الأحادي من آثار سلبية محققة، تؤدي في الغالب إلى التجسيم أو الميل إلى الفلسفات العقلية اليونانية.

إن الالتزام بالمذهب الأشعري إلى جانب الثوابت الأخرى في الغرب الإسلامي، أعطى تناسقا فكريا بين أفراد المجتمع، ووحدة قوية يشد بعضها بعضا، وتكاملا عقديا وفقهيا وسلوكيا، فرغم محاولة الطعون، وزرع الشك حول هذه الثوابت بشتى الوسائل والفنون، بقي المغرب متشبثا بها، متمسكا بمبادئها وأصولها، وما هذا التشبث إلا من خلال ما رأوه من الآثار الإيجابية على مجتمع الغرب الإسلامي، جعله معروفا بها، ومشتهرا بالتمسك بها.

وهكذا أصبح المغاربة ملتزمين بوحدهم الفكرية والعقدية والفقهية، مدافعين بكل الوسائل عنها، غير ملتفتين للطاعنين من أهل الزيغ والابتداع، وبذلك عاش المغاربة عبر العصور مبتدعين عن الشرور المحدقة، والفتن المدقعة، ولا زالوا ينعمون تحت ظل هذه الثوابت ملتزمين بها إلى يومنا هذا.

(3) المذهب المالكي⁴³: لا يخفى ما للفقهاء من أهمية بالغة في المجتمع الإسلامي، فقد اعتبر قانونا مجتمعيا فريدا، مُعتمدا عليه في تنظيم المجتمع عبر العصور الإسلامية، ذلك لأنه "مؤسسٌ على روح العدل والمساواة واحترام الحقوق الخاصة والعامة والنظام الأتم، وتقدير الملك لذويه، واحترام النواميس الطبيعية، وقد اعتبر درء المفسد فقدمه على جلب المصالح، وسد الذرائع، والمصالح المرسله، ولا ضرر ولا ضرار، وتقديم الأهم على المهم، وبنيت أحكامه على الاعتدال لا إفراط وتفریط، واعتبر الأعراف والعوائد، فأحكامه يتغير الكثير منها بتغير الأحوال، كما قال عمر بن عبد العزيز: تحدث للناس أفضية بقدر ما أحدثوا من الفجور"⁴⁴.



ويدخل تحت مظلته الفقه المالكي الذي جعله سلاطين المغرب الإسلامي عبر العصور "المذهب الرسمي للدولة، يُلزم به الأمراء والسلاطين الخاصة والعامة... فكما أنه كان معين الفقهاء الذي لا ينضب، ومنهل المفتين الذي لا يجف، كان أيضا مشرب الحكام وأولي الأمر، به ساسوا الرعية، وبه نظموا عقد الأمة وجمعوا شملها... وهكذا ظل المذهب المالكي هو مذهب المغاربة حكاما ورعية، يلتزمون به معا على السوية، ولا عبرة بالنادر بل الحكم للغالب كما في القاعدة"⁴⁵.

واختيار المغرب للمذهب المالكي لم يأت اعتباطا ولا صدفة، بل كان مبنيا على "افتناع فكري، واطمئنان قلبي، ورضي نفسي... اختاروه حبا في إمام دار الهجرة العالم الفقيه المجتهد الرباني الصالح... وتبركا بأخلاقه، وتيمنا بشمائله، واقتداء بعلمه وفضله... اختاروه لصفات كثيرة، علمية وخلقية ودينية، كانت متجذرة راسخة في شخصية الإمام مالك رضي الله عنه، جعلته أهلا لأن يقتدى به، ويتأسى بفقهه واجتهاده"⁴⁶.

وإضافة إلى ما ذكر، فإن هذا الاختيار أيضا مبني على ما "تميز به هذا المذهب من حيث محتواه العلمي، ومضمونه الفقهي، وقيمه التربوية، بصفات جعلته أهلا لأن يتبع، وأحرى أن يصار على منهجه، ويسلك على دربه وشرعته، وهذه الصفات كثيرة، نجملها في الكليات والأمهات الآتية... سعة أصوله وكثرة قواعده... توسطه واعتداله... كثرة المؤلفات فيه... طول القضاء به... طول الإفتاء به... الالتزام به على مستوى الحكم... توحيد بين أطراف إفريقيا"⁴⁷.

هذه بعض المزايا التي جذبت المغرب وجعلته متشبثا بهذا المذهب، متعلقا به، ويبقى التوسط والاعتدال، وتوحيده للبلاد، وطول الإفتاء والقضاء به، وسعة الأصول ومرونتها: من العرف، ومراعاة الخلاف، والاستحسان، وسد الذرائع، واعتبار المصالح المرسله، أهم الكليات في استيعاب التطورات، واحتواء المستجدات، وحفظ الأمن داخل مجتمع الغرب الإسلامي، أهم الأسباب لاختياره بين كثير من المذاهب التي أرادت توطيد نفسها في هذه البلاد، لكن لم يكتب لها القبول لقوة هذا المذهب في أصوله وقواعده وسعتها ومرونتها.

بل إن بعض الأصول عدت من خصائص هذا المذهب حتى عرف بها، "فالاستصلاح وما يتصل به من مراعاة العرف وسد الذريعة ومراعاة الخلاف... دليل شرعي واسع كبير، يمكن المجتهد في المذهب المالكي من استيعاب كل التطورات التي تقع في حياة الناس ووقائعها وحوادثها، وأكثر الاجتهادات الفقهية في المذهب المالكي راجع في أصله الشرعي إلى دليل الاستصلاح وتوابعه فروعه. ومن ثم كان المذهب المالكي أكثر عمقا وسعة، وغوصا في مقاصد الشريعة وأسرارها، لأن فقه مقاصد الشريعة الإسلامية قوام الاستصلاح وعدته"⁴⁸، "وهكذا فالمذهب المالكي غني بأصوله الواسعة العميقة، وقواعده الكثيرة المجردة. وبذلك يستطيع استيعاب كل ما يجدد في حياة الناس من الوقائع والحوادث على اختلاف أنواعها وحجمها وطبيعتها"⁴⁹.

وعليه، فإن اعتماد الفقه المالكي في بلاد الغرب الإسلامي كان مبنيا على سعة أصوله وقواعده، ومرونته في التنزيل، مما جعله مشتملا على عنصر التجديد، مسائرا للواقع عبر العصور، محافظا على مكانته بين أطراف مجتمع المغرب والأندلس، موحدا للصف وجمع الكلمة، حتى أصبح ثابتا من الثوابت الدينية المعتدة في المغرب، "والمذهب الذي من خصائصه وحدة الناس، ووحدة الكلمة ورس الصف، حري بأن يتبع، وجدير بأن يستمسك به، ويتخذ نبراسا ومنهجا لفهم الدين وإقامته في الحياة، ولذلك اختاره المغاربة لما رأوا فيه من خير الوحدة وبركة الألفة"⁵⁰.

(4) التصوف السني: يعتبر التصوف من أهم مميزات والخصوصيات المغربية فقد كان له الأثر البالغ في تمتين العلاقات بين جميع أطراف المجتمع المغربي عبر العصور، وما ذاك إلا بما زرعه تلك التربية الروحية بين أفرادها من محبة واحترام، فالتصوف هو ذلك العلم



الذي يعنى بتزكية النفس وحملها على الاتصاف بالمحامد والآداب الفاضلة، واجتناب الرذائل ومساوئ الأخلاق، فهو بصيغة أخرى منهج حياة للمجتمع المسلم، فكلما طبق منهجه التربوي تطبيقاً صحيحاً، كلما تقدم المجتمع أخلاقياً وسلوكياً، ومتى حاد الإنسان عن توجيهاته ومبادئه تردى المجتمع وأصبح بدون قيم توجهه، إذ قيمه مستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية، والتصوف بهذا: "مَجْمُوعَةُ المبادئ الَّتِي يعتقدُها المتصوفة، والآداب الَّتِي يتأدبون بها في مجتمعاتهم وخلواتهم"⁵¹.

إن التصوف قيمة من أهم القيم الإسلامية التي يجب زرعها في نفوس أبناء المجتمع للتشبع بها وامتنالها، حتى تصير ثابتاً من الثوابت الدينية للمجتمع المسلم ككل، وهو ما اختاره المغاربة قديماً وحديثاً وجعلوه من ثوابت الأمة، لما رأوه من وجوب التربية الأخلاقية وضرورتها المجتمعية، من أجل نبذ كل أنواع الكراهية والعنف، ونشر المحبة والتآلف والتقارب بين جميع أفراد المجتمع.

ولما كان التصوف قيمة إسلامية ذا أهمية بالغة، فإن "التربية الصوفية أمام سالكيها هدف، ألا وهو تحقيق التزكية والرقى في مدارج القرب والعلو، عن طريق تحقق المرید من مراتب ودرجات من الأخلاق الفاضلة، تبدأ من التوبة عن القبيح ثم الإخلاص للقيمة الفاضلة، ثم الاستقامة على درب العمل الصالح، ومراقبة الرب في كل صغير وكبير ظاهر وباطن يرتكبه السالك لذلك الدرب من التربية"⁵².

إن بناء الشخصية المسلمة على مراقبة الله عز وجل ظاهراً وباطناً، لا تتأتى إلا من خلال ربط هذه الشخصية بأخلاق نبيها ﷺ، لأن التربية على الأخلاق هي تربية على المراقبة، وكبح النفس عن الوقوع في المنهيات، وهو ما تدعو إليه التربية الصوفية، بأن يعرف الإنسان ما له وما عليه، وبالاعتماد على هذه التربية الهادفة إلى تزكية الإنسان ظاهراً وباطناً، أنتج التصوف "أناساً صالحين ساهموا في بناء المجتمعات بفاعلية وإصلاح، قاوموا الظلم والفساد أينما كان ولم يأخو بما يواجهون في سبيل ذلك، عملوا على تنشئة أجيال من المجاهدين بأموالهم وأنفسهم من أجل رفعة الدين والوطن، حققوا في مجتمعاتهم توازناً روحياً ونفسياً سلك بالناس سبيل الراحة والسعادة والاطمئنان والقناعة، وكان ذلك جديراً بتحقيق الأمن الاجتماعي والأمن الروحي والأمن الحضاري في بلاد الإسلام لقرون خلت"⁵³.

وبناء على ما سبق، فإن هذه الثوابت الدينية تعد ركيزة من أهم الركائز لدى المغرب، والذي لا زال ينعم بالأمن والأمان في ظل هذه الثوابت معتمداً عليها في بناء المجتمع وحفظ أمنه.

ثانياً العدل بين أفراد المجتمع: يُعدُّ العدل ركيزة من أهم ركائز قيام المجتمعات وتقدمها، وتوازنها وحفظ أمنها، فأينما وجد العدل وجد الأمن والأمان، وكلما فقد انهار المجتمع وشاعت الفوضى والظلم، ولأهمية العدل وفضله فقد أكدت عليه النصوص من القرآن والسنة في كثير من الآيات والأحاديث، من ذلك قول الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۗ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا} ⁵⁴ وقال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ۗ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} ⁵⁵

أما الأحاديث النبوية الواردة في الموضوع فكثيرة جداً، منها قول رسول الله ﷺ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ تَعَالَىٰ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَدْلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ...» ⁵⁶

هذا الحديث من الأحاديث القيمة التي تدل على أهمية وجود إمام عادل في المجتمع، حيث كان المبدوء به في الحديث مما يدل على رفعة ومقامه، "وحيث أن يبدأ به لأنه من العالم بمنزلة السواد من العين، بل بمنزلة السويداء من القلب، بل هو بمنزلة القلب من الجسد، فبصلاحه يصلح الجسد وبفساده يفسد"⁵⁷. ومن الأحاديث المهمة في هذا السياق، قوله ﷺ: «إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ



عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ عَنِ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ، وَكَلَّمَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وُلُوا»⁵⁸، فهذا الحديث تأكيد لسابقه على شرف الإمام العادل ورفعته في الدرجات العلا عند الله عز وجل، إذ المنبر هاهنا فيه دلالة على العلو والرفعة والمقام، ويضاف إلى ذلك أن دعوته لا ترد، كما قال رسول الله ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ، الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَالصَّائِمُ حَتَّى يُفْطِرَ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ...»⁵⁹.

يستنتج من خلال ما سبق من الأحاديث أن الإمامة لا تشرف إلا بالعدل، فإذا انعدم العدل انعدم الفضل والشرف، وهذا يدل عليه قوله ﷺ: "الذين يعدلون"، وفي هذا يقول الإمام النووي رحمه الله: "معناه أن هذا الفضل إنما هو لمن عدل فيما تقلده من خلافة أو إمارة أو قضاء أو حسبة أو نظر على يتيم أو صدقة أو وقف وفيما يلزمه من حقوق أهله وعياله ونحو ذلك"⁶⁰.

وبناء على ما ورد من النصوص الشرعية في الحث على العدل والأمر به يمكن القول، إن "العدل أشرف أوصاف الملك، وأقوم لدولته، لأنه يبعث على الطاعة، ويدعوا إلى الألفة، وبه تصلح الأعمال، وتنمو الأموال، وتنتعش الرعية، وتكتمل المزية"⁶¹، فلا يخفى ما للعدل من الدور الكبير في المجتمع وحفظ أمنه، ونشر الطمأنينة في نفوس أفرادها، ولا يخفى ما له من الآثار الإيجابية على الراعي والرعية، فقد "قال بعض الحكماء إذا بني الملك على قواعد العدل، ودُعم بدعائم الفضل، وحصن بدوام الشكر، وحرس بأعمال البر، نصر الله مواليه، وخذل معاديه، وعضده وسلمه من الغير"⁶².

ولما "كان الإسلام غايته ومقصده إصلاح حال الناس، وإقامة العدل فيهم، وخطته وطريقته اليسر بهم ورفع الحرج عنهم، فهو بلا ريب كفيل بكل سياسة عادلة"⁶³.

والمقصود بالسياسة العادلة هاهنا هو: "تدبير الشؤون الداخلية والخارجية بالنظم والقوانين التي تكفل الأمن لأفرادها وجماعاتها والعدل بينهم، وتضمن تحقيق مصالحهم وتمهيد السبيل لرقيهم وتنظيم علاقتهم بغيرهم، والإسلام كفيل بهذه السياسة تصلح أصوله أن تكون أسسًا للنظم العادلة، وتتسع لتحقيق مصالح الناس في كل زمان وفي أي مكان"⁶⁴.

وعليه، فإن العدل من أهم الركائز المجتمعية التي يبنى عليها الأمن داخل المجتمع، فكلما تحقق العدل تحقق الأمن، وكلما فقدت ضاعت الحقوق، وانتشر الظلم بشتى أنواعه، فأصبح المجتمع غير آمن بسبب عدم تحققه.



خاتمة:

من خلال ما سبق يتبين أن الأمن لا يتحقق في المجتمع إلا بتحقيق وسائله وركائزه، هذه الوسائل تتمثل في التفقه في الدين بمعناه الواسع، وتنصيب العلماء الربانيين لتعليم الناس وتوجيههم وإفنائهم في أمور دينهم ودنياهم، وترسيخ الثوابت الدينية لدى المجتمع والمتمثلة في العقيدة والفقه والسلوك، ثم ترسيخ انتماء وحب الوطن لدى الأفراد، أما الركائز المعززة للأمن فيتجلى أهمها في العدل الذي هو صمام الأمن والأمان، وحفظ الثوابت الدينية للمجتمع، وعلى هذا النهج صار المغرب في حفظ وحدة مجتمعه عقيدة وفقها وسلوكا، مما جنبه الفتن والشور والغللو والتنطع، ولا زال ينعم بوحده إلى يومنا هذا.

هذه أهم الوسائل والركائز التي تبين لي أن التمسك بها أساس السعادة في الدنيا والآخرة، وركن ركبن من دعائم أمن المجتمع الإسلامي فحفظها حفظ للأمن، وإهمالها إهمال للأمن داخل المجتمع.

الهوامش:

- 1 الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري (باب أمن)
- 2 المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لأحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبي العباس (ت نحو 770 هـ) المكتبة العلمية - بيروت بدون ط (باب أمن)
- 3 المفردات في غريب القرآن لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالرغاب الأصفهاني (ت 502هـ) تحقيق صفوان عدنان الداودي - دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت الطبعة: الأولى - 1412 هـ باب (أمن)
- 4 معجم مقاييس اللغة لابن فارس باب (أمن)
- 5 المصباح المنير للفيومي باب (أمن)
- 6 لسان العرب لابن منظور باب حرف النون فصل (الألف)
- 7 الأبعاد السياسية لمفهوم الأمن في الإسلام لمصطفى محمود منجود - المعهد الإسلامي للفكر الإسلامي - القاهرة الطبعة الأولى 1417 هـ 1996م ص32
- 8 التعريفات لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت 816هـ) تحقيق وضبط وتصحيح جماعة من العلماء بإشراف دار الكتب العلمية بيروت - لبنان الطبعة: الأولى 1403 هـ - 1983م (باب الألف)
- 9 التوقيف على مهمات التعاريف لزين الدين محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت 1031هـ) - عالم الكتب - القاهرة الطبعة: الأولى، 1410 هـ - 1990 م (باب الألف)
- 10 الإسلام والأمن الاجتماعي للدكتور محمد عمارة - دار الشروق - الطبعة الأولى 1418 هـ 1968م ص11
- 11 الموافقات لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي (ت 790) تقديم بكر بن عبد الله أبي زيد ضبط نصه وقدم له وعلق عليه وخرج أحاديثه أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سليمان - دار ابن عفان - الطبعة الأولى 1417 هـ 1997م ج 2 ص 17
- 12 سورة البقرة الآية 29
- 13 سورة البقرة الآية 124
- 14 المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت 542هـ) تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد - دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة: الأولى - 1422 هـ ج 1 ص 207
- 15 سورة العنكبوت الآية 67
- 16 سورة آل عمران الآية 97
- 17 سورة المائدة الآية 3



- 18 تفسير المراغي لأحمد المراغي ج 6 ص 46
- 19 صحيح البخاري الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وسننه وأيامه لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري (ت 256 هـ) طبعة: مراجعة ومصححة على النسخة السلطانية، مع رفع الالتباس عن رموزه - دار التأصيل - القاهرة - الطبعة: الأولى، 1433 هـ - 1012 م باب لا تحقرن جارة لجارتها رقم 6021
- 20 سنن الترمذي محمد بن عيسى بن سؤرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت 279 هـ) تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (ج 21) ومحمد فؤاد عبد الباقي (ج 3) وإبراهيم عطوة عوض (ج 54) - شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر - الطبعة: الثانية، 1395 هـ - 1975 م أبواب الزهد رقم 2346
- 21 صحيح البخاري لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي تحقيق: د. مصطفى ديب البغا - دار ابن كثير، دار اليمامة - دمشق الطبعة: الخامسة، 1414 هـ - 1993 م رقم 1654
- 22 الموافقات لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي (ت 790 هـ) تحقيق أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، تقديم: بكر بن عبد الله أبو زيد - دار ابن عفان - الطبعة: الأولى، 1417 هـ - 1997 م ج 1 ص 13
- 23 مقاصد الشريعة الإسلامية لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت 1393 هـ) تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة - وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر - 1425 هـ - 2004 م ج 3 ص 194
- 24 سورة النحل الآية 97
- 25 أدب الدنيا والدين للماوردي ص 142
- 26 سورة التوبة الآية 123
- 27
- 28 المغرب مالكي لماذا؟ للدكتور محمد الروكي منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - المملكة المغربية - 1424 هـ / 2003 م ص 12
- 29 محمد بن أحمد بن أحمد بن محمد بن رشد المالكي القرطبي (ت 520) الصلة لابن بشكوال ص 546
- 30 يراجع في مسائل ابن رشد
- 31 سورة البقرة الآية
- 32 المغرب مالكي لماذا؟ للدكتور محمد الروكي منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - المملكة المغربية - 1424 هـ / 2003 م ص 12
- 33 المغرب مالكي لماذا؟ للدكتور محمد الروكي ص 13
- 34 الفروق للقرافي ج 1 ص 206
- 35 أدب الدنيا والدين للماوردي ص 149
- 36 الأحكام السلطانية للماوردي ص 15
- 37 تهذيب الرياسة وترتيب السياسة لأبي عبد الله محمد بن علي بن الحسن القلعي الشافعي (ت 630 هـ) تحقيق: إبراهيم يوسف مصطفى عجو - مكتبة المنار - الأردن الزرقاء الطبعة: الأولى ص 74
- 38 السياسة الشرعية في الشؤون الدستورية والخارجية والمالية عبد الوهاب خلاف (ت 1375 هـ) - دار القلم - الطبعة: 1408 هـ - 1988 م ص 59
- 39 الرائد في علم العقائد للعربي اللو الطبعة: 2016 م ص 17
- 40 هي القضايا التي بما يتوصل إلى الجزم بحدوث العالم وإحكام نظامه لإثبات الوجود للباري تعالى وما يجب له أو يتمتع أو يجوز من الصفات... / الرائد في علم العقائد للعربي اللو ص 20
- 41 ما يجب وما يجوز وما يتمتع في حق الله وملائكته وكتبه ورسوله وما لا يجوز والإيمان باليوم الآخر... الرائد في علم العقائد للعربي اللو ص 18
- 42 الرائد في علم العقائد للعربي اللو ص 21
- 43 هو عبارة عما أصله الإمام مالك من أصول مجتهدا في اعتمادها، وما درج عليه أصحابه ومتبعوه، ولو خالفوه في الفروع المبنية على تلك الأصول، إذ الاعتبار أن يدور اجتهادهم مقيدا بأصول إمام مالك / أصول الفتوى والقضاء في المذهب المالكي للدكتور محمد رياض ص 100



- 44 الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي لمحمد بن الحسن بن العربي بن محمد الحجوي الثعالبي الجعفري الفاسي (ت 1376هـ) - دار الكتب العلمية - بيروت-لبنان - الطبعة: الأولى - 1416هـ - 1995م ج1 ص72
- 45 المغرب مالكي لماذا؟ للدكتور محمد الروكي ص53
- 46 المغرب مالكي لماذا؟ للدكتور محمد الروكي ص16
- 47 المغرب مالكي لماذا؟ للدكتور محمد الروكي ص38
- 48 المغرب مالكي لماذا؟ للدكتور محمد الروكي ص42
- 49 المغرب مالكي لماذا؟ للدكتور محمد الروكي ص45
- 50 المغرب مالكي لماذا؟ للدكتور محمد الروكي ص54
- 51 المعجم الوسيط ل لمجموعة من المؤلفين بمجمع اللغة العربية بالقاهرة - مجمع اللغة العربية بالقاهرة . الطبعة: الثانية 1392 هـ / 1972 م [ج 1 ص529
- 52 أمن المجتمع واستقراره من منظور إسلامي للدكتور علي جمعة ص7
- 53 أمن المجتمع واستقراره من منظور إسلامي للدكتور علي جمعة ص7
- 54 سورة النساء الآية 75
- 55 سورة النحل الآية 90
- 56 صحيح البخاري لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي تحقيق: د. مصطفى ديب البغا - دار ابن كثير، دار اليمامة - دمشق الطبعة: الخامسة، 1414هـ - 1993 م باب الصدقة باليمين رقم 1375
- 57 تهذيب الرياسة وترتيب السياسة لأبي عبد الله محمد بن علي بن الحسن القلعي الشافعي (ت 630هـ) تحقيق: إبراهيم يوسف مصطفى عجمو - مكتبة المنار - الأردن الزرقاء . الطبعة: الأولى ص98
- 58 صحيح مسلم لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت 261) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي . مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة . ثم صورته دار إحياء التراث العربي ببيروت، وغيرها عام النشر: 1374 هـ - 1955 م كتاب الإمارة باب فضيلة الإمام العادل رقم 1827
- 59 سنن ابن ماجه ت الأرنؤوط لأبي عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه القزويني (٢٠٩ - ٢٧٣ هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد - محمّد كامل قره بللي - عبد اللطيف حرز الله - دار الرسالة العالمية . الطبعة: الأولى، 1430 هـ - 2009 م باب في الصائم لا ترد دعوته رقم 1752
- 60 المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ) - دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الثانية، 1392هـ ج12 ص212
- 61 المنهج المسلوك في سياسة الملوك لعبد الرحمن بن نصر بن عبد الله، أبو النجيب، جلال الدين العدوي الشيزري الشافعي (ت نحو 590هـ) تحقيق: علي عبد الله الموسى - مكتبة المنار - الزرقاء . ص242
- 62 تهذيب الرياسة وترتيب السياسة لمحمد القلعي الشافعي ص120
- 63 السياسة الشرعية في الشؤون الدستورية والخارجية والمالية لعبد الوهاب خلاف (ت 1375هـ) . دار القلم . الطبعة: 1408 هـ - 1988م ص27
- 64 السياسة الشرعية في الشؤون الدستورية والخارجية والمالية لعبد الوهاب خلاف (ت 1375هـ) . دار القلم . الطبعة: 1408 هـ - 1988م ص24